ذكرى الإمام الحسين

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الإقتصاد والخزانة ورئيس مجلس إدارة المسجد الحسينى

(١)

« علي ، فاطمة ، حسن ، حسين »

هذه الأسماء تهش لها قلوب المؤمنين حين تسمعها آذانهم .

ولا عجب فقد سلك حب أصحابها الأولين مع الأرواح فى الأجساد لأن حبهم من حب حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وحبه صلى الله عليه وسلم من حب رب العالمين ، أو ليس هو صلى الله عليه وسلم الذى يقول « أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى » .

وإنى نظرت فى هذه الأسماء الكريمة فوجدتها مركبة من حروف ترمز إلى فضائل سبقوا بها الناس جميعاً وصاروا لهم أئمة فيها .

وعندى أن العين واللام من اسم على (والد مولانا الحسين) يرمزان إلى أنه حاز أكثر العلم فشارك العلم فى حرفين من ثلاثة ، والياء يرمز إلى ياء التقوى وتشديد الياء يرمز إلى التقوى العميقة .

وكذلك كان حاله رضى الله عنه وكرم الله وجهه . فأما عن العلم فقد قال فيه مولانا عبد الله بن عباس « لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر » .

وأما عن التقوى فقد وصفه فيها ضرار لمعاوية حين ألح عليه أن يصفه فكان مما قال « وكان يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته » وخاطب الدنيا فقال « إلىّ تعرضت أم إلىّ تشوقت هيهات غرّى غيرى ، لقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها » ثم قال « آه من طول السفر وقلة الزاد ووحشة الطريق » .

أما اسم فاطمة (والدة مولانا الحسين) فعندى فيه أن الفاء ترمز إلى الفوز والألف إلى الأمن والطاء إلى الطهر والميم إلى المجد والقاء إلى التقوى .

وكذلك كان حالها فقد فازت بخير البنين بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وحازت الأمن بقول حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها إن ابنتى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها — من حديث رواه الخمسة وحازت الطهر من قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ، وأما المجد فقد حازته عن أبيها وزوجها وبنيها .

ويقول فى ذلك السيد/ محمد إقبال فيلسوف الإسلام الباكستانى العظيم طيب الله ثراه فيما ترجمه عنه الأخ الفاضل العالم المبارك الشيخ الصاوى شعلان جزاه الله خيرا :

نسب المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرق من ثلاث مطالع ... فى مهد « فاطمة » فما أعلاها
هى بنت من ؟ هى زوج من ؟ هى أم من ؟ ... من ذا يدانى فى الفخار أباها

وأما التقوى فيقول فيها « إقبال » :

بلت وسادتها لآلىء دمعها ... من طول خشيتها ومن تقواها
جبريل نحو العرش يرفع دمعها ... كالطل يروى فى الجنان رباها

أما اسم حسن (الأخ الأكبر لمولانا الحسين) فعندى فيه أن الحاء ترمز إلى الحكمة والسين إلى السعادة والنون إلى النور .

وكذلك كان حالة فقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً وكان مرجعا للعلماء فى مشكلات المسائل كما كان رحمة للمسلمين فى تنازله عن الخلافة حقنا لدمائهم .

أما السعادة والنور فقد كسبهما رضى الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمزى « هذان أبناى وأبنا أبنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وقد زاد اسم حسين على اسم حسن بالياء وهى عندى ياء المثنى لأنه ليس فى

الأمة كلها إثنان ثنيا كالسبطين الكريمين فعرفا بين الناس بالحسنين والسبطين والقمرين النيرين والشهيدين والزكيين والوفيين والرشيدين الخ ، حتى لقد شبههما أمام المادحين مولانا البوصيرى فى اتصالها بحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالنقطتين اللتين تلازمان حرف الياء فى قوله .

وبريحانتين طيبهما منك الذى أودعتهما الزهـــراء
كنت تؤويهما إليك كما آوت من الخط نقطتيها الياء

ميلاد مولانا الحسين :

ولد رضى الله عنه بالمدينة المنورة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وقد حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وفى اليوم السابع لمولده حفنه وعق عنه كبشا وسماه « حسينا » ولم يكن له من قبل سميا .

كنيته وألقابه :

كنيته رضى الله عنه أبو عبد الله لا غير . أما القابه فهى الرشيد والطيب والزكى والوفى والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله وأشهرها الزكى وأعلاها رتبة ما لقبه به صلى الله عليه وسلم فى قوله عنه وعن أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عنه صلى الله عليه وسلم إنه قال حسين سبط من الأسباط والسبط فى اللغة ولد الولد والأسباط فى بنى إسرائيل تشبه القبائل عند العرب والقبيلة أمة وبذلك يكون مولانا الحسين أمة وحدة .

نبذة من تاريخه :

أقام رضى الله عنه مع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين ومع أبيه أمير المؤمنين « على » عليه السلام سبعا وثلاثين سنة ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعا وأربعين سنة وعاش بعده أحدى عشرة سنة وكانت سنة حين الوفاة ثمانية وخمسين سنة . وقد كان رضى الله عنه هو وأخوه الحسن فى المدد الذى أرسله سيدنا عثمان بن عفان إلى عبد الله بن أبى السرح لفتح أفريقيا : كما حضرا رضوان الله عليهما

غزوة طبرستان حين غزاها سعيد بن العاص وإلى الكوفة من قبل سيدنا عثمان وحضر مولانا الحسين أيضاً غزوة القسطنطينية الثانية فى فى عهد معاوية سنة ٥١ هجرية .

وقد خرج رضى الله عنه مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وبقى معه إلى أن قتل ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر لمعاوية فتحرك مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية فخرج إلى مكة ثم تلقى رسائل أهل العراق بأنهم بايعوه فأرسل إليهم مسلم بن عقيل فأخذ بيعتهم ودعا مولانا الحسين للقدوم إلى العراق فسار إليها كما سار البدر فى داج من الظلمات ووقع هناك ما قدره الله من استشهاده استشهاداً لم يعرف تاريخ البشرية له مثيلا وكان أمر الله مقدراً مقدورا وإنا لله وإنا إليه راجعون .

مكانته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

رأيت يا أخى مكانته عند الله وعند رسوله فيم قدمت لك ، ولا تعجب بعدئذ أن يوقره كل الصحابة توقيرا خاصا حتى لقد فرض أمير المؤمنين مولانا عمر له ولأخيه مولانا الحسن فريضة أهل بدر وقد نفض مولانا أبو هريرة التراب عن نعلى مولانا الحسين بثوبه فقال له وأنت ياأبا هريرة تفعل ذلك قال دعنى لو علم الناس من أمرك ما أعلم لحلوك على الرقاب .

وقال مولانا ابن عمر لجلسائه عند الكعبة حين رأى مولانا الحسين قادما عليهم أتدرون من أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم قالوا لا قال هذا القادم على بيت الله وأشار إليه رضوان الله علية فقال له رجل من عرافى البادية إذن فويل له من أهل الأرض فقيل له : ولم ؟ فقال لأن مكانه فى السماء .

وقال مولانا أبو ذر موجها الكلام لمولانا الحسين وهو يودعه : رحمكم الله يا أهل بيت النبوة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم .

لا بل إن أخاه لأبيه سيدى محمد بن الحنفية كتب إليه بعد أن افترقا متغاضبين فقدمه على نفسه لفضله وهاهى رسالته التى زادتنى حبا وتقديرا لكاتبها رضى الله عنه.

من محمد بن على إلى أخيه الحسين بن على :

« أما بعد : فإن لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا لا أدركه ، فإن أبى أمرأة من بنى حنيفة وأمك بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أبى ، ما وفين بأمك .

فإذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداء ونعليك ، وسر إلى لترضينى ، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى ، والسلام » .

فلبس الحسين رداءه ونعليه ، وجاء إليه وترضاه .

وصية غالية من أبيه له:

جاء فى وصية أبيه له رضوان الله عليهما وهى من درر الكلام :

« يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية » .

شىء من بلاغته رضى الله عنه :

روى بن عساكر فى التاريخ الكبير أن الحسين قال لنافع بن الأزرق لما قال له صف لى إلهك الذى تعبد :

يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى الألتباس مائلا إذا كبا عن المنهاج ظاعنا بالإعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل ، يابن الأزرق أصف إلهى بما وصف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب غير ملتصق وبعيد غير مستقصى يوحّد ولا يبغض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا آله إلا هو الكبير المتعال .

فبكى الأزرق وقال ما أحسن كلامك فقال له بلغنى أنك تشهد على أبى وعلى أخى بالكفر وعلى . قال ابن الأزرق والله ياحسين أن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام فقال له إنى سائلك عن مسألة فقال سل فسأله عن قوله تعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) فقال يابن الأزرق من حفظ فى الغلامين فقال أبوهما فقال مولانا الحسين أبوهما خير أم رسول فقال ابن الأزرق قد أنبأ الله تعالى عنكم

أنكم قوم خصمون . وابن الأزرق هو أبوراشد نافع بن الأزرق رأس الأزارقة . ومن بدعهم أنهم كفروا عليا وعثمان وعائشة وطلحه والزبير وعبد الله ابن عباس رضى الله عنهم وقد حارب المهلب بن أبى صفرة الأزارقة وفرغ من أمرهم أيام الحجاج .

وقال إمامنا الشافعى رضى الله عنه مات ابن للحسين فلم يرعليه كآبة فعوتب فى ذلك فقال إنا أهل بيت نسأل الله تعالى فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا .

وقد أشار معاوية إلى بلاغة مولانا الحسين فى مناسبة من المناسبات فقال إنها ألسنة بنى هاشم الحداد التى تغلق الصحر وتغرف من البحر .

حب الأوفياء :

لو قرأت ما قاله أصحاب مولانا الحسين الذى استشهدوا معه فى كربلاء لقرأت أحرفا من نور كتبها الوفاء القائم على حب الله ورسوله وستجد أمثله منها فى هذا المقال فيما بعد

وحب آل البيت فريضة على كل مسلم ومسلمة ولولا تعلق الناس بحبهم أحياء وأمواتا لضعف إيمانهم ولكنهم رحمة فى حياتهم وبعد مماتهم .

ومن عجيب أن يطغى الحقد ببغض الناس فى هذا الزمان حين يرون المؤمنين ملتفين حول رايتهم يقرؤنهم وهم فى قبورهم السلام مع أن الله حياهم قبل أن يحييهم المؤمنون ألم يقل الله فى كتابه الكريم « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » كما قال « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، كما قال قل لاأسالكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » .

ألا يصلى عليهم هؤلاء الحقدة فى التشهد أخذا بسنة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد قدمت لك كيف كانت منزلة آل البيت عند إجلاء الصحابة وهم رؤوس هذه الأمة وأهل الصدارة فيها كما هم أهل الفقة فى الدين وعنهم وحدهم نأخذ ديننا ومحال أن نأخذه عن غيرهم من الغاوين والخاوين الذين لايحفظون لآل البيت الكرام ودهم فى حين أن حبهم دعامة أساسية من دعائم ذلك الدين القيم لوكانوا يفقهون ورضى الله عن استاذى الشيخ على عقل إذ يقول مشيرا إلى فضلهم علينا :

ولست بناء عن هواهم لأننى عرفت بهم ربى فهم أصل معهدى

وقد كان مولانا عمر بن الخطاب يذكر مولانا بلال بن رباح بالسيادة ويقول رحم الله أبا بكر أنه كان سيدنا وأعتق سيدنا فما لهؤلاء الحقدة لايتأدبون ولايتهذبون .

« البحث مستمر »